

بسم الله الرحمن الرحيم

خطبة جمعة / جامع الملك فيصل / ٣١ / ١٠ / ٢٠٠٣ م

الآيات ٢٧ - ٣١ من سورة الرعد

- الافتتاح

- طرح القضية

- حال الكفار مع الآيات

- حال المؤمنين مع الهدى

- سعادة المؤمن بالإيمان

- تحقيق هذه السعادة

الخطبة الثانية

- الافتتاح

- الحديث عن الصيام

في ظلال القرآن :

الدرس الثاني: ٢٧ - ٣٢ صورة الكفار العمي وصورة أخرى لأصحاب القلوب مطمئنة ولقد سبقت الإشارة إلى الفارق الضخم بين من يعلم أن ما أنزل إلى الرسول من ربه هو الحق ، ومن هو أعمى . فالآن يحكي السياق شيئاً عن العمي الذين لا يرون آيات الله في الكون ، والذين لا يكفيهم هذا القرآن ، فإذا هم يطلبون آية . وقد حكى السياق شيئاً كهذا في شطر السورة الأول ، وعقب عليه بأن الرسول ليس إلا منذراً والآيات عند الله . وهو الآن يحكيه ويعقب عليه ببيان أسباب الهدى وأسباب الضلال . ويضع إلى جواره صورة القلوب مطمئنة بذكر الله ، لا تقلق ولا تطلب خوارق لتؤمن وهذا القرآن بين أيديها . هذا القرآن العميق التأثير ، حتى لتكاد تسير به الجبال وتقطع به الأرض ، ويكلم به الموتى لما فيه من سلطان وقوة ودفعة ،

وحيوية . وينهي الحديث عن هؤلاء الذين يتطلبون القوارع والخوارق بتأسيس المؤمنين منهم ،
وبتوجيههم إلى المثالات من قبلهم ، وإلى ما يحل بالمكذبين من حولهم بين الحين والحين :
ويقول الذين كفروا: لولا أنزل عليه آية من ربه ! قل: إن الله يضل من يشاء ، ويهدي إليه من
أناب: الذين آمنوا وتطمئن قلوبهم بذكر الله . ألا بذكر الله تطمئن القلوب . الذين آمنوا وعملوا
الصالحات طوبى لهم وحسن مآب

كذلك أرسلناك في أمة قد خلت من قبلها أمم لتتلو عليهم الذي أوحينا إليك ، وهم يكفرون
بالرحمن . قل: هو ربي لا إله إلا هو عليه توكلت ، وإليه متاب
ولو أن قرآنا سيرت به الجبال أو قطعت به الأرض أو كلم به الموتى . بل لله الأمر جميعا . أفلم
يأس الذين آمنوا أن لو يشاء الله لهدى الناس جميعا . ولا يزال الذين كفروا تصيبيهم بما صنعوا
قارعة أو تحل قريبا من دارهم حتى يأتي وعد الله . إن الله لا يخلف الميعاد . ولقد استهزىء
برسل من قبلك ، فأمليت للذين كفروا ثم أخذتهم . فكيف كان عقاب ؟ . .

تفسير البيضاوي : ويقول الذين كفروا لولا أنزل عليه آية من ربه قل إن الله يضل من يشاء
باقترح الآيات بعد ظهور المعجزات ويهدي إليه من أناب أقبل إلى الحق ورجع عن العناد وهو
جواب يجري مجرى التعجب من قولهم كأنه قال قل لهم ما أعظم عنادكم إن الله يضل من يشاء
ممن كان على صفتكم فلا سبيل إلى اهتدائهم و إن أنزلت كل آية ويهدي إليه من أناب بما
جئت به بل بأدنى منه من الآيات الذين آمنوا بدل من أو خبر مبتدأ محذوف وتطمئن
قلوبهم بذكر الله أنسا به واعتمادا عليه ورجاء منه أو بذكر رحمته بعد القلق من خشيته أو بذكر
دلائله الدالة على وجوده ووحدانيته أو بكلامه يعني القرآن الذي هو أقوى المعجزات ألا بذكر
الله تطمئن القلوب تسكن إليه الذين آمنوا وعملوا الصالحات مبتدأ خبره طوبى لهم وهو
فعلى من الطيب قلبت ياؤه واوا لضممة ما قبلها مصدر لطاب كبشرى وزلفى ويجوز فيه الرفع
والنصب ولذلك قرئ وحسن مآب بالنصب كذلك مثل ذلك يعني إرسال قبلك أرسلناك
في أمة قد خلت من قبلها تقدمتها أمم أرسلوا إليهم فليس ببدع إرسالك إليهم لتتلو عليهم
الذي أوحينا إليك لتقرأ عليهم الكتاب الذي أوحينا إليك وهم يكفرون بالرحمن وحالهم أنهم

يكفرون بالبليغ الرحمة الذي أحاطت بهم نعمته ووسعت كل شيء رحمته فلم يشكروا نعمه
وخصوصا ما أنعم عليهم بإرسالك إليهم وإنزال القرآن الذي هو مناط المنافع الدينية والدينية
عليهم وقيل نزلت في مشركي أهل مكة حين قيل لهم اسجدوا للرحمن قالوا وما الرحمن قل هو
ربي أي الرحمن خالقي ومتولي أمري لا إله إلا هو لا مستحق للعبادة سواه عليه توكلت في
نصرتي عليكم وإليه متاب مرجعي ومرجعكم ولو أن قرآنا سيرت به الجبال شرط حذف
جوابه والمراد منه تعظيم شأن القرآن أو المبالغة في عناد الكفرة وتصميمهم أي ولو أن كتابا
زعزعت به الجبال عن مقارها قطعت به الأرض تصدعت من خشية الله عند قراءته أو شققت
فجعلت أنهارا وعيوننا أو كلم به الموتى فتسمع فتقرؤه أو فتسمع وتحيب عند قراءته لكان هذا
القرآن لأنه الغاية في الإعجاز والنهائية في التذكير والإنذار أو لما آمنوا به كقوله ولو أننا نزلنا
إليهم الملائكة الآية وقيل إن قريشا قالوا يا محمد إن شرك أن نتبعك فسير بقرآنك الجبال عن
مكة حتى تتسع لنا فتتخذ فيها بساتين وقطائع أو سخر لنا به الريح لنركبها ونتجر إلى الشام أو
ابعث لنا فتتخذ فيها بساتين وقطائع أو سخر لنا به الريح لنركبها ونتجر إلى الشام أو ابعث لنا
به قصي بن كلاب وغيره من آبائنا ليكلمونا فيك فنزلت وعلى هذا فتقطيع الأرض قطعها
بالسير وقيل الجواب مقدم وهو قوله وهم يكفرون بالرحمن وما بينهما اعتراض وتذكير كلم
خاصة لاشتغال الموتى على المذكر الحقيقي بل لله الأمر جميعا بل لله القدرة على كل شيء
وهو إضراب عما تضمنته لو من معنى النفي أي بل الله قادر على الإتيان بما اقترحوه من
الآيات إلا أن إرادته لم تتعلق بذلك لعلمه بأنه لا تلين له شكيمتهم ويؤيد ذلك قوله أفلم يأس
الذين آمنوا عن إيمانهم مع ما رأوا من أحوالهم وذهب أكثرهم إلى أن معناه أفلم يعلم لما روي
أن علي وابن عباس وجماعة من الصحابة والتابعين رضوان الله عليهم أجمعين قرؤوا أفلم يتبين
وهو تفسير وإنما استعمل اليأس بمعنى العلم لأنه مسبب عن العلم فإن الميئوس عنه لا يكون إلا
معلوما ولذلك علقه بقوله أن لو يشاء الله لهدى الناس جميعا فإن معناه نفى هدى بعض الناس
لعدم تعلق المشيئة باهتدائهم وهو على الأول متعلق بمحذوف تقديره أفلم يأس الذين آمنوا عن
إيمانهم علما منهم أن لو يشاء الله لهدى الناس جميعا أو بآمنوا ولا يزال الذين كفروا تصيبهم
بما صنعوا من الكفر وسوء الأعمال فارعة ذاهبة تفرعهم وتقلقهم أو تحل قريبا من دارهم

فيفرعون منها ويتطائر إليهم شررها وقيل الآية في كفار مكة فإنهم لا يزالوا مصابين بما صنعوا برسول الله صلى الله عليه وسلم فإنه عليه الصلاة والسلام كان لا زال يبعث السرايا عليهم فتغير حواليهم وتختطف مواشيهم وعلى هذا يجوز أن يكون تحل خطابا للرسول عليه الصلاة والسلام فإنه حل بجيشه قريبا من دارهم عام الحديبية حتى يأتي وعد الله الموت أو القيامة أو فتح مكة إن الله لا يخلف الميعاد لا متناع الكذب في كلامه ولقد استهزئ برسول من قبلك فأمليت للذين كفروا تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم ووعيد للمستهزئين به والمقترحين عليه والإملاء أن يترك ملاوة من الزمان في دعة وأمن ثم أخذتهم فكيف كان عقاب أي عقابي إياهم أضمن هو قائم على كل نفس رقيب عليها بما كسبت من خير أو شر لا يخفى عليه شيء من أعماله مولا يفوت عنده شيء من جزائهم والخبر محذوف تقديره كمن ليس كذلك.